مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٥) العدد (٣)
الإصدار السادس عشر
٢٠٢٢ (٣٤٨-٣٣٦)

الأخلاق في فكر كونفوشيوس

عنتر ابن رابح قجور
مقارنة الأديان، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر 1
البريد الإلكتروني abtarkedjour@gmail.com

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٢م

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

الملخص

لقد كانت الفلسفة الأخلاقية الكونفوشيوسية هي أكثر الفلسفة تأثر على الامة الصينية، ونفا أكبر مصلح أثر على الأمة الصينية تكلم عن الأخلاق الكريمة ودعا إليها، ولهذا، أثر في الأمة الصينية ما لم يؤثر عليها مصلح آخر. وقد وضع لهذه الأخلاق قواعد، تعتبر كفتاح لفهمها والعمل بها وهي:1- إصلاح النفس أولى من البحث عن أصلها... خيرية كانت أم شريرية؟.2- الإرادة هي مفتاح التغيير. 3-التكامل الأخلاقي هو انسجام بين الجانب العاطفي والجانب الروحي.4- افعل أقصى ما تستطيعه. 5- الإلزام الأخلاقي. 6- القصد الحسن.7- التوسط. وأهم الأخلاق التي ركز عليها كونفوشيوس نجد: 1-الفضيلة. -2-الصدق. -3- الرحمة.4-الخير.5-الاستقامة.6-طاعة الآباء.7- الطقوس.8-الموسيقى.

الكلمات المفتاحية: كونفوشيوس، الأخلاق، الإنسان الكامل، الصدق، طاعة الآباء، الطقوس، القدوة، الموسيقى

Abstract

The Confucian moral philosophy was the most influential philosophies on the Chinese nation, and the most influential reformer who had an impact on the Chinese nation denied it. He has set Rules for these morals, which are considered as a key to understanding them and applying them, which are: 1- Reforming the soul is more important than searching for its origin... waist charitable or evil?.2- Will is the key to change. 3- Ethical integration is harmony between the emotional side and the spiritual side. 4- Do the most you can: 5- Moral obligation. 6- Good

intent. 7- Mediation. The most important morals that Confucius focused on we find: 1- Virtue 2- Honesty 3- Compassion 4- Goodness 5- Integrity 6- Obedience to Parents 7- Rituals 8- Music. Keywords: Confucius, morals, the perfect human, honesty, obedience to parents, rituals, role models, music.

*** القيم الأخلاقية في الفلسفة الكونفوشيوسية**

*** المقدمة**

أدرك كونفوشيوس من خلال قراءته للتاريخ، وتجربته في الإصلاح من داخل الدولة، أن التغيير الحقيقي يبدأ من النفس، وأن الأخلاق هي عمود النهضة، وطريق التقدم. ولهذا، تخلى عن كل الوظائف الرسمية، واتجه إلى إصلاح الأخلاق من خلال التربية والتعليم، وتنشئة جيل على ذلك، ليحمل مشعل الإصلاح الشامل، وتأسيس الحضارة القوية.

ونظرا، لسمو الأخلاق الكونفوشيوسية، وشموليتها، وكمالها،فإنها قد أثرت على الأمة الصينية، ما لم تؤثر عليها فلسفة أخلاقية أخرى، وامتزجت بروحها بشكل عجيب،حتى أصبحت علما عليها، وسمة من سماتها.

والسؤال ما هي الأخلاق الكونفوشيوسية ؟،وما هي عناصر القوة والتميز فيها؟.

*** قواعد الأخلاق الكونفوشيوسية**

القاعدة الأولى: إصلاح النفس أولى من البحث عن أصلها... خيرية كانت أم شريرية؟

تضاربت الأقوال المنقولة عن كونفوشيوس حول الطبيعة الإنسانية، هل هي خيرة أم شريرة؟، فهناك أقوال تصرح على أن الإنسان خير بطبعه، من هذه الأقوال:" أنا لنا سيولدون خيرين سواسية بطبيعتهم، ولكنهم كلما شبوا اختلفوا الواحد منهم عن الآخر تدريجيا، وفق ما يكتسب من عادات.'' (بسيوني، دط، ص116) ويقول: "الطبيعة الإنسانية مستقيمة، فإذا افتقد الإنسان هذه الاستقامة أثناء حياته افتقد معها السعادة."(رسلان، مرجع سابق، ص116)

لكن في المقابل نقلت عنه أقوال أخرى تدل على أن الإنسان شرير بطبعه، وهذا يبدو فيقوله: "أنا لم أقابل الإنسان الذي يرغب في الخير أو الذي يجد الشر أمرا بغيضا."(أحمد،2000م، ص61).

هذه الأقوال المتضاربة، تحولت إلى خلاف شديد بين تلامذة كونفوشيوس، إذ منهم من يرى أن الإنسان خير بطبعه "كمنشيوس" الذي تزعم هذا المذهب، وشبه اتجاه الإنسان إلى فعل الخير، يشبه اتجاه المياه عندما يسير في منحدر، وهذه الخيرية تمثل الدافع الأساسي لالتزام الإنسان بالقيم وسعيه المستمر لأداء كل ما هو خير للآخرين. أما "هسون تزو" فقد كان له اتجاه سيئ تجاه الطبيعة الإنسانية، فيراها شريرة المترع، شريرة الغاية. (نيدهام،1995م، ص142)

وسواء صحت هذه الأقوال عن كونفوشيوس أم لم تصح، فإننا نرى من خلال القراءة المتأنية الشاملة لفلسفته الأخلاقية، أنه لم يتوقف كثيرا حول الطبيعة الإنسانية بقدر ما توقف كثيرا حول "الاستعداد للتخلق بالأخلاق" "وهذا الاستعداد هو الذي يفيد منه التخيل والوعي والإرادة بالتربية والابتكار، وبتضافرها معا يخلق الرجل النبيل ''(نيدهام، مرجع سابق،ص142)ومما ينقل يقول عنه:" إذا ركز الإنسان قلبه

على الخير تحرر من كل الشرور." (احمد، مرجع سابق، ص62)

وقد ركز طوال حياته، على تجسيد هذا المبدأ على أرض الواقع، بدل من تضييع الوقت في المجادلات التي لا طائل منها. إذ سواء كان الإنسان خيرا أم شريرا، فإنها في الأخير مجرد سفسطة كلامية، لا تنفع ولا تضر.

فالخلاصة نقول إن فلسفة كونفوشيوس فلسفة ميدانية واقعية، ترى أن مقياس صحة الفكرة بثمرتها، خلافا للفلسفة اليونانية التي غرقت في غرقت في العقليات المجردة، والتي لم تثمر شئيا ذا بال.

القاعدة الثانية: الإرادة هي مفتاح التغيير

اعتبر كونفوشيوس أن الإرادة هي الفارق في النجاح" كل الأفراد متقاربين من حيث الطبيعة، أما الاختلاف بينهم فيأتي نتيجة الممارسة." (احمد، مرجع سابق، ص62). فمن كان قوي الإرادة، شديد العزم، ارتقى في الحياة، ومن حرم كل ذلك، فشل في كل شيء.

وبهذا خالف كونفوشيوس الفلسفة الصينية القديمة القائمة على الطبقية، وتفاضل الناس. ليؤكد أن الناس سواسية في المواهب، وإنما يقع الاختلاف بينهما فيما بعد.

ولعل الشيء الذي جعل كونفوشيوس يذهب إلى هذا الرأي، هو حياته الصعبة، ومعايشته لكل الطبقات، جعلته يقتنع أن الإرادة هي الفارق في الإنجاز بين الناس.

وأفضل الإرادات هي التي توجه إلى الخير، يقول كونفوشيوس "الرجل الخير يحصل الفائدة بعد قهر المشاق."(احمد، مرجع سابق، ص62)

القاعدة الثالثة: التكامل الأخلاقي

الإنسان كما يرى "لاوتزو" (مؤسس الديانة الطاوية) "يجب ألا تتمثل حياته إلا عبر عملية عقلية واحدة يطلق عليها التأمل."(احمد، مرجع سابق، ص62) ووافقه "موتزو" في ذلك وقال:" أنا لا نفع الا الداخلية يجب القضاء عليها، وخاصة الابتهاج والغضب واللهو والحزن والحب والكراهية، حيث أطلق عليها ب ‘‘الغوايات الست" التي يجب على الإنسان إحكام إرادته عليه اليسيره العقل" (أحمد، مرجع سابق، ص62).

لكن كونفوشيوس يذهب إلى أن توازن الإنسان يحدث لما يكون الجانب العاطفي منسجما مع الجانب العقلي، والخلل يحدث لما يغيب هذا الانسجام" عندما تكون العواطف مثل البهجة والغضب والحزن والسعادة غير متصارعة، يصبح الفرد في حاله اتساق وعندما تستيقظ هذه المشاريع، وتعمل كل واحده وفقا للمعيار من أسب فهذا هو ما يسمى بالانسجام النظام الأخلاقي."(احمد، مرجع سابق، ص63)

فالاتساق الداخلي مع الخارجي مهم لدى كونفوشيوس، إذ بدونها يحيا الإنسان مضطربا فاشلا "أفحص الوسائل التي يستخدمها الإنسان، لاحظ الطريق الذي يسلكه وأفحص سلوكه داخل المترل، فليس هنا كطريق لكي يخفي الإنسان بها ذاته."(أحمد مرجع سابق، ص65)

فإذا حدث الانسجام الداخلي في الإنسان، اثراً إيجابا على المجتمع، يقول كونفوشيوس:" دع حالات الانسجام والاتساق تسود عندئذ فإن النظام سوف يسود داخل السماء والأرض، وسوف تتجه كل الأشياء نحو الازدهار والكمال."(أحمد، مرجع سابق، ص67)

القاعدة الرابعة: الضمير الأخلاقي

ركز كونفوشيوس على الضمير الأخلاقي، أو كما يسميه" القانون الأخلاقي."(أحمد، مرجع سابق، ص67). واعتبره أساس الأخلاق، والمتحكم فيها.

وإذا كان الإنسان نقيا من الداخل، فعليه أن ينصت إذن إلى ضميره، ويتركه يقوده، يقول كونفوشيوس:" دع مبدأك يقودك لأنتفع لأفضل ما في وسعك كن فاضلا في كلما تقوله وقد نفسك اتجاه الصواب" (أحمد، مرجع سابق، ص67).

ولعل كونفوشيوس قد استمد هذا المفهوم من التراث القديم، الذي يقول إن الله تعالى قد منح الإنسان الخلق الحسن، والذي إذا التزم به وعمل على التمسك به أصبح رجلا نبيلا. (أحمد، مرجع سابق، ص66)

ورغم أهميته، ودلالته على خيرية الإنسان، فإنه لا يعد هو الوحيد في استقامة الإنسان، بل لا بد من استنباتها ورعايتها، حتى ينمو ويوصل الإنسان إلى الكمال الإنساني. ولا يختفي بفعل المؤثرات، يقول في عقيدة الوسط:" إن القانون الأخلاقي ليس أمرا بعيدا عن الحياة العقلية للإنسان. فعندما يتبع الرجل أمرا بعيدا عن الحياة العقلية على أنه القانون الأخلاقي، فهو ليس بالقانون الأخلاقي."(احمد، مرجع سابق، ص65-66)

وإذا وجد الإنسان أنه انحرف عن الطريق المستقيم، فما عليه إلا يفحص ذاته، فهناك سوف يجد الجواب، يقول كونفوشيوس" يجب على الرجل الفاضل أن يشخص قلبه وما في داخله، ويرى أنه ليس هناك سبب للقلق، ولا توجد أفكار سيئة."(أحمد، مرجع سابق، ص68).

القاعدة الخامسة: النية الحسنة

يشترط كونفوشيوس في القانون الأخلاقي أن يكون خاليا من المنافع الذاتية، أو اللذات الإنسانية، "الإنسان المتسامي يوجهه البر، بينما الإنسان الغرائزي توجهه المنفعة يتطور الإنسان المتسامي تصاعديا، بينما يتطور الإنسان الغرائزي تنازليا، يسعى الإنسان المتسامي إلى أن يتمم الصفات الحميدة في الآخرين بينما الإنسان الغرائزي لا يفعل ذلك." (**السواح وآخرون،2017م،374/4**). أو كما يقول كانط:" لا تفعل الفعل إلا بما يتفق مع السلامة التي تمكنك في نفس الوقت من أن تريد لها أن تصبح قانونا علما."(أحمد، مرجع سابق، ص76).

القاعدة السادسة: التوسط

نالت عقيدة التوسط والاعتدال " تشونغ Chung" حيزا كبيرا في فلسفة علق كونفوشيوس الأخلاقية. فاعتبرها هي عمود الأخلاق الصالحة حيث يقول: " الوسط نبيل حقا كالفضيلة الأخلاقية، إلا أنه نادرا ما تدركه العامة لمدة طويلة"(أحمد، مرجع سابق، ص68) علق مرة على طالبين من طلابه بقوله: " ابتعد أحدهما كثيرا فيما يقول، لكن الثاني لم يبتعد كفاية". (السواح **وآخرون**، مرجع سابق، ص351) فكأنه يقول إن كلا القولين خطأ. وامتدح كونفوشيوس القصائد الأولى في الكتاب المزامير: " كتعبير عن المتعة بدون مجون، وكتعبير عن الحزن بدون فجائعية." (السواح **وآخرون**، مرجع سابق، ص351).

فطغيان الأشياء على بعضها البعض يفقد الإنسان توازنه:" عندما تتفوق الممتلكات الفطرية على إنجاز التهذيب فسوف تكون النتيجة شخصا صعب المراس، وعندما يتفوق

التهذيب على الممتلكات الفطرية فسوف تكون النتيجة عالما متحذلقا، وإنما يصنع الرجل النبيل هو الاعتدال "(أحمد، مرجع سابق، ص69)

وكان كونفوشيوس نموذجا حيا، لهذه الوسطية والتوازن النفسي، فلا إفراط ولا تفريط في حياته، فمثلا كان يشرب الخمر لكن بكمية قليلة لا تؤثر على عقله. (السواح **وآخرون**، مرجع سابق، ص351).

إذن، فالأخلاق الكاملة هي في الوسطية، يقول كونفوشيوس "الكمال هو الفضيلة مع التوسط"(**السواح وآخرون**، مرجع سابق، ص351). ويقول "عندما تتفوق الممتلكات الفطرية على إنجاز التهذيب فسوف تكون النتيجة شخصا صعبا المراس، وعندما يتفوق التهذيب على الممتلكات الفطرية فسوف تكون النتيجة عالما متحذلقا، وإنما الذي يصنع الرجل النبيل هو الاعتدال."(أحمد، مرجع سابق، ص69)، ويقول:" الوسط نبيل حقا كالفضيلة الأخلاقية، إلا أنه نادرا ما تدركه العامة لمدة طويلة."(احمد، مرجع سابق، ص68)

القاعدة السابعة: افعل أقصى ما تستطيعه

حث كونفوشيوس الإنسان على بذل أقصى ما يستطيعه في فعل الخير" أترك ما تمتلكه من مبادئ تقودك لأن تفعل أفضل ما عندك للآخرين، عندئذ ستكون جديرا بالثقة فيما تقوله، وهذا هو الرجل الفاضل"[1] ويقول "عندما تتعامل مع الآخرين أفعل أفضل ما عندك."(أحمد، مرجع سابق، ص70)

يقول أحد التلاميذ عن كونفوشيوس "إن طريق الأستاذ يكمن في أن يفعل أفضل ما عنده، وأن يستخدم نفسه كمقياس لقياس الآخرين."(احمد، مرجع سابق، ص71)

أي أن كونفوشيوس ينشد الكمال الأخلاقي، ومن يصل إلى هذه المرتبة يطلق عليه ب "**الرجل النبيل** "وهو مصطلح معروف في الثقافة الصينية القديمة ويقصدون به الطبقة الأرستقراطية. لكن كونفوشيوس أخذ هذا المصطلح وغير معناه، وجعله ليس وقفا على الطبقة العليا، فكل إنسان يقترب إلى الكمال الخلقي والعلمي نسميه "الرجل النبيل" حتى ولو كان من الطبقة الفقيرة أو المعدومة، "من الرجل النبيل؟ إنه الرجل الذي يهذب نفسه، وبذلك يصبح جديرا بالاحترام إنه يثقف نفسه ليسجد السلام والأمل لرفاقه إنه يثقف نفسه ليجلب السلام والأمن للشعب كله."(رسلان، مرجع ساق، ص98).

والإنسان ليصل إلى هذه المرتبة، عليه أن يضع ثلاثة أهداف: "في الشباب يجب أن يحاذر من الافتتان باللذة في مستعمل حياته، عندما يشتد آزره يجب أن يحاذر من النزعة القتالية وفي كبر سنه عندما يصبح كهلا يجب أن يحترس من نزعة الاستشهاد"(رسلان، مرجع سابق،ص100) واهتماماته وغاياته يجب أن ترتفع عن الأرض والمادة بقية الأقران، "فالرجل النبيل لا يسعى للبطن المملوء أو لتأسيس المترل المريح، هادئ النفس، مطمئن القلب، متواضع مع الجميع، "الرجل النبيل متحرر من القلق كما أنه ليس متكبرا" رسلان، مرجع سابق،ص100) ، عملي "الرجل النبيل يتردد في الكلام ولكنه سريع في العمل" رسلان، مرجع سابق،ص101)، وفي

[1] هالة أبو الفتوح. المرجع نفسه. ص70.

العموم يجب أن يلتزم بتسعة أمور:" أن يرى بوضوح عندما يستخدم عينيه، أن يسمع بدقة عندما يستخدم أذنيه، أن ينظر بعمق عندما يصل إلى هدوئه، أن يكون محترما في سلوكه، أن يكون حي الضمير عندما يتحدث، أن يكون وقورا وهو ينجز واجباته، أن يلتمس النصيحة عندما يكون فاشلا، أن ينظر لما هو صواب عندما يكون بصدد الربح، أن يلتمس الصدق عندما يكون ساخطا." رسلان، مرجع سابق، ص102)

وكان كونفوشيوس مثالا للرجل الذي ينشد الكمال، يقول:" كيف أجرؤ أن اسمح لنفسي أن اعتبر حكيما أو إنسانيا؟،الأفضل أن يقال عني أنني أسعى وأجاهد لتحقيق ذلك دون أن أحقق هذا الامر بنحو كامل"(سميث،2007م، ص245)

ولذلك، أصبح إنسانا كاملا يقول فيه تلميذه تسو كونغ:" إنه الشمس، القمر الذي يستحيل الصعود إليه، إن استحالة أن نجد مكافئا لمعلمنا تشابه استحالة الوصول إلى السماء بالصعود على سلم"(سميث، مرجع سابق،245)

القاعدة الثامنة: ما تحبه لنفسك أحببه لغيرك

كان كونفوشيوس هو أول من استخدم بشكل واسع مصطلح "الخير" على الرغم من وجوده منذ القدم.

ما هو الخير في مفهوم كونفوشيوس إنه يعني:" حب الآخرين"(خه **جاو وآخرون**،2004م، ص54)

لكن كيف يتحقق هذا الحب للآخرين؟

يرى كونفوشيوس أن ذلك يحتاج إلى الإنسان "الذي يرغب في تحقيق التقدم ويجعل الآخرين يتقدمون أيضا، بالإضافة إلى الإنسان الذي يرغب في تلبية متطلباته الذاتية، ويساعد الآخرين على تحقيق احتياجاتهم أيضا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يفرض الإنسان على الآخرين ما لا يحبه لنفسه "(**خه جاو وو وآخرون**، مرجع سابق، ص55)

إذن، فعلى الإنسان أن يحب للآخرين ما يحبه لنفسه: يقول كونفوشيوس" لا تفعل بالآخرين ما لا ترغب أن تفعله بنفسك"(**السواح وآخرون**، مرجع سابق، ص348/4)، ويقول:"...وإياك أن تفعل بالآخرين ما لا ترضى أن يفعلوه بك..." (نيدهام، مرجع سابق، ص139).

" فحب الآخرين هي "الفضيلة الكاملة"(ديورانت، دط،58/4) في رأي كونفوشيوس. وعلى الإنسان أن يجعلها مقياسا في تعامله مع الآخرين.

إنسان ال "جين jen"يتصف بهذه الصفة يقول كونفوشيوس: "بينما ينشد إنسان ال "جين jen" بناء شخصيته فإنه يوجد في نفس الوقت بناء شخصيات الآخرين، وبينما يلتمس أن يكون عالي الشأن وناجحا فإنه يتمنى أن يكون الآخرون رفيعي الشأن وناجحين."(أحمد، مرجع سابق، ص72).

وهذه الفضيلة الأخلاقية العالية، تنم عن الحكمة "إن الحكمة هي أن يؤدي المرء الأشياء الملائمة لعامة الناس."(احمد، مرجع سابق، ص72)

الحكم على الإنسان بفعله لا بقوله: الأفعال لا الأقوال هي الميزان الحكم على الأشخاص يقول كونفوشيوس" إن الرجل العاقل لا يحكم على الناس بأقوالهم، بل بأعمالهم السلمية، ففي العالم المتحضر نجد المجتمع زاخرا بالأعمال السامية، بينما في العالم المتأخر أو غير المتحضر نجد المجتمع زاخرا بالخطب الرنانة." (بسيوني، **مرجع سابق، ص130**) وفي الغالب قلما

يكون الرجل ذو الكلام المنمق و"الخطب المؤثرة في المظهر رجلا فاضلا". (بسيوني، مرجع سابق، ص130). ويسميهم كونفوشيوس ب ‘‘لصوص الفضيلة" ‘‘الرجل الذي يظهر في صورة الوقار والقوة، بينما هو في داخلية نفسه فارغ وضعيف، يبدو وكأنه لص صغير يدلف إلى منزل غيره في الليل ليسرق ما فيه."(بسيوني، مرجع سابق، ص131).

*** أهم القيم الأخلاقية في فكر كونفوشيوس**

١- الفضيلة (جين)

ورد مصطلح "الجين" كثيرا في أقوال كونفوشيوس، واختلف تلامذته في المقصود به، فمنه من يترجمه على أنه "الحب، والصلاح، والخيرية، والإنسانية، والصدق، والإخلاص البشري، وبساطة السلوك، والفضيلة الكاملة."[2]

والمشهور هو المعنى الأخير:" الفضيلة الكاملة"، لأنها تجمع كل الفضائل.

والأشياء التي تدل على الفضيلة الكاملة هي:" أن يكون محترما، متسامحا، جديرا بالثقة فيما يقوله ذكيا كريما، فإذا كان الرجل محترما فسينال رضا العامة، وإذا كان جديرا بالثقة فإن أتباعه سوف يثقون فيه، وإذا كان ذكيا، فسوف ينجز ثمارا عظيمة، وإذا كان كريما فسوف يكون صالحا لدرجة تؤهله للسيادة على الآخرين."(أحمد، مرجع سابق، ص76).

ويعد الجهل أخطر الأشياء على الفضيلة "ليس أخطر على الفضيلة من امرؤ لا يفرق بين الحق والباطل"(أحمد، مرجع سابق، ص76)

ومصدر الفضيلة الكاملة تكون من جهة الولادة "إذا تخلى الرجل الفاضل عن إنسانيته فبأي شق يمكن أن يوصف."(أحمد، مرجع سابق، ص76) وتكون من جهة التخلق بها أيضا " الرجل الخير دائما شغوف بالخيرية، لأنه يشعر خلال ممارسته لها وكأنه في موطنه."(أحمد، مرجع سابق، ص76). "عندما تكون بالمنزل احتفظ بنفسك في موقف دال على الاحترام، وعندما تتعامل مع الآخرين افعل أفضل ما عندك."(أحمد، مرجع سابق، ص76). وتأتي أيضا من الصحبة الصالحة" فكما أن صاحب الحرفة اليدوية عليه أولا وقبل أن يمارس حرفته أن يسن أدواته، فيجب على الفرد أن يصادق من هم خيرين، لأنهم سيكونون أدواته."(أحمد، مرجع سابق، ص83)

لان الخيرية مغروزة في الطبيعة الإنسانية، وهي التي تدفع الإنسان إلى التخلق بالأخلاق الكاملة "إن الطريق الصحيح أو قاعدة السلوك السليم التي على الأفراد إتباعها ليست ببعيدة عنهم، لأن الأفراد إذا أسسوا قاعدة للسلوك بعيدة عنهم، فمعنى ذلك أنها لا تتفق وطبيعتهم الإنسانية، وكل قاعدة للسلوك الأخلاقي تتنافى مع الطبيعة الإنسانية يجب استبعادها وعدم الأخذ بها"(رسلان، مرجع سابق، ص115). "الرجل الخير يساعد الآخرين ليحصلوا على مواقعهم بالقدر الذي يرغب هو نفسه في الحصول عليه"(أحمد، مرجع سابق، ص79)

ومن كان محروما من الخيرية، فالإرادة تخلقها له "الإنسان هو الذي يجعل الصدق عظيما، وليس الصدق هو الذي يجعل الإنسان عظيما"(رسلان، مرجع سابق،

[2]هالة أبو الفتوح. المرجع نفسه. ص.76.

ص115). "إن الإنسانية الصحيحة (الفضيلة) تتطلب قدرة جبارة، والطريق عليها صعب المنال، فأنت لا تستطيع أن تلمسها بالأصابع ولا أن نصل إليها سيرا على الأقدام، وعلى ذلك فالفرد الذي يستطيع أن يقترب منها أكثر من الآخرين يعتبر فاضلا، ومن ثم إذا قاس الإنسان الناس بمقياس الفضيلة المطلق فسيكون من المستحيل أن نجده شخصا فاضلا، ولكنه إذا قاس الناس بعضهم ببعض فإن الأفضل منهم يعتبر مقياس لغيره"(رسلان، مرجع سابق، ص144).

فالإنسان هو مصدر الأخلاق.

وإذا وصل الإنسان إلى الفضيلة الكاملة، عليه أن يشيعها في وسطه، حتى يخلق مجتمعا فاضلا، ودولة فاضلة "لقد وضعت قلبي على الطريق، وأسست نفسي على الفضيلة واستندت على الخيرية لمساعدة الآخرين."(أحمد، مرجع سابق، ص78) وهو ما يعرف في الفلسفة الكونفوشيوسية " التاو" أو المنهج الأخلاقي. وهو يختلف عن "التاو" الذي يعني "الله".

وقد نال "التاو" في الفلسفة الكونفوشيوسية مرتبة عالية، واهتماما كبيرا، حتى عد هو "باب الأخلاق" والدال على الطريق، والقائد إلى كمال الأخلاق " من ذا الذي يستطيع أن يغادر المنزل بدون استخدام الباب؟ لماذا إذن لا يتبع الطريق."(احمد، مرجع سابق، ص81).

ولهذا على الإنسان أن يتمسك بهذا الطريق، ويعظم قيمته" من العادات تجعل للراتب هدفك الوحيد سواء كانت التاو سائدا أو غير سائدا في المقاطعة."(أحمد، مرجع سابق، ص82). ولا يلتفت إلى رأي الناس وأقوالهم" الرجل الذي ركز قلبه على التاو ومع ذلك يخجل من الطعام والملبس الرديء هو رجل مدع"(أحمد، مرجع سابق، ص82)

والدولة التي تطبق "التاو" ستكون دولة قوية، ناجحة، سعيدة "كم كانshichyu مستقيما عندما ساد الطريق في الدولة، كان مستقيما كالسهم، وعندما سقط الطريق في الإهمال ظل مستقيما كالسهم."(أحمد، مرجع سابق، ص82).

٢- **الصدق**: الرجل الصادق في فكر كونفوشيوس هو الذي تتطابق أقواله مع أفعاله، يقول كونفوشيوس:" أكثر الناس نبلا هم الذين يطبقون على أنفسهم ما يعظون الآخرين به، ثم يعظون الآخرين بما طبقوه على أنفسهم فعلا"(سميث، مرجع سابق،246)

وهو الذي يقدم الدليل على هواه ورغباته، يقول كونفوشيوس:'' الرجل النبيل لا يميل إلى شيء أو ينفر من أي شيء، انه يؤيد كل ما هو حق"(أحمد، مرجع سابق، ص85)،"إن ذهن الرجل الفاضل مولع بكل ما هو حق، أما ذهن الرجل الوضيع فإنه يتعلق بالربح"(أحمد، مرجع سابق، ص85).

٣- الاستقامة: الرجل النبيل هو الذي يضع الاستقامة فوق كل شيء (أحمد، مرجع سابق، ص86) والاستقامة هي فضيلة الأخلاق" أن تكون مليئا بالرغبات فكيف يمكنك أن تكون مستقيما"(أحمد، مرجع سابق، ص87) والرغبات تحول دون الاستقامة والكمال الخلقي، ولتخطي هذه العقبة لابد من المجاهدة:'' ما هو حقيقي في الداخل سوف يظهر في الخارج، فالرجل النبيل لابد أن يراقب ذاته"(أحمد، مرجع سابق، ص87-88).

يقول:" آكل الطعام الخشن، وأشرب الماء، وأمد يدي أو زراعي على وسادتي، لا زلت أمتلك البهجة والسعادة في وسط كل هذه الأشياء. لا تعني لي الثروة والجاه اللتان يمكن الحصول عليهما عبر الابتعاد عن الاستقامة، وعبر الظلم، أكثر من غيوم مم معتمة"(سميث، مرجع سابق، ص245)

٤- الرحمة والعطف: يرى كونفوشيوس أن الرحمة هي القاعدة التي تقوم عليها الأخلاق، يقول:"" الرجل الأعلى لا يغضبه أن يسمو غيره من الناس، فإذا رأى أفاضل الناس فكر في أن يكون مثلهم، وإذا رأى سفلة الناس عاد إلى نفسه يتقصى حقيقية أمره." (ديورانت، مرجع سابق،58/4).

ويقول أيضا:" كن عطوفا تجاه كل إنسان، ولكن لا تكن صديقا حميما إلا للمستقيمين"(سميث، مرجع سابق،246)

٥- الخير: أعلن كونفوشيوس أن "الشعب يحتاج إلى الخير بصورة ملحة أكثر من احتياجه إلى الماء والنار"(**خه جاو ووآخرون**، مرجع سابق، ص55)، وهو أداة قوية في التأثير على الناس" عندما يتسم سلوك الرجل الرفيع بالجدية في التعامل مع أقاربه، فإن الخير يؤثر في الشعب تأثيرا بالغا." (خه **جاووو وآخرون**، مرجع سابق، ص55).

ومن اتصف بالخيرية في نفسه أحب الآخرين قطعا. يقول كونفوشيوس:" الإنسان الخير يحب الآخرين"(خه **جاو ووآخرون**، مرجع سابق، ص55)

٦- طاعة الآباء: تعتبر طاعة الأبناء للأب سمة المجتمع الصيني، والفضيلة الأقدس في كل عصوره، وأكثر الفضائل الاجتماعية التي ارتبطت بمفهوم "الجين" ولذلك يراها كونفوشيوس حجر الزاوية أو الأساس في البناء الاجتماعي (أحمد، مرجع سابق، ص89)، سئل عن أحسن الخلق فأجاب: "البر بالوالدين، وإتقان العمل، ولإخلاص للصديق، وإنها خصال ثلاث لا يختلف عليها امرؤ في مشارق الأرض ومغاربها." (ليو **جون تيان وآخرون**، مرجع سابق، ص123)

وأهم واجبات هذه القيمة الحب والإحسان إليهما في الحياة وبعد الممات" عندما يكون والديك على قيد الحياة يجب ألا تذهب بعيدا، وإذا حدث ذلك يجب أن يكون مكانك معلوما"(أحمد، مرجع سابق، ص90)

ويقول" إذا كان الوالدان على قيد الحياة خدمهما بالأدب، وإذا توفيا دفنهما بالأدب وقدم القرابين إليهما"(رسلان، مرجع سابق، ص153)

وإذا نصحهما فلينصحهما بأدب يقول كونفوشيوس "من خدم والديه فلينصح لهما بالبشاشة والرفق فإن رأى منهما عزيمة على الإعراض عن نصحه فليزداد احتراما لهما، وهو غير متنازل عن تقديم النصح لهما وغير متذمر منهما ولو نالته المتاعب في سبيل نصحه لهما."(رسلان، مرجع سابق، ص153).

ومن مستلزمات البر بالوالدين، بر الإخوة، يقول كونفوشيوس:" من بر والديه أحب إخوته، وتكن من السياسة."(رسلان، مرجع سابق، ص153)

ومن كان هذا خلقه ساد وقاد، يقول كونفوشيوس:" عامل أفراد أسرتك معاملة فاضلة تستطيع بعد ذلك أن تعلى وتقود أمة بأكملها"(رسلان، مرجع سابق، ص152)

والأبوية لا تقف فقط عند الوالدين بل تمتد إلى الحاكم الأعلى الذي يعتبر أبا لكل الشعب، لكن في المقابل على هذا الأخير أن يلتزم بموجبات هذه العلاقة، من المحبة والطاعة، والتي عليها يدور ازدهار وقوة الدولة.

وقد أثرت هذه العلاقة الأبوية بين الحاكم والمحكوم إيجابا على تطور الصين، واستقرارها السياسي.

٧- **الطقوس**: النظام الاجتماعي لا يستقيم، ولا تقوم له قائمة، ما لم تحكمه الفضائل الأخلاقية "LI" فهو إسمنت المجتمع، وسر نجاحه.

والمجتمع الصيني هو من أكثر المجتمعات تمسكا بالقوانين الأخلاقية، والطقوس الاجتماعية، يقول كونفوشيوس "من لم يملك الإنسان روح الشعائر فإنه سوف يدمر نفسه وهو يمارس فضيلة الاحترام وفي ممارسة الحذر سيصبح جبان، وفي ممارسة الشجاعة سيصبح صعب المراس، وفي ممارسة الصراحة سيصبح غير محترم."(رسلان، مرجع سابق، ص94).

ومما يجب التنبيه إليه أن "لي""LI"كانت في التراث الصيني القديم تعني تلك الطقوس الدينية التي يجب على الفرد الإتيان بها اتجاه آلهة السماء، وخاصة تلك الطقوس التي يؤديها الحاكم حتى ترضى عليه الآلهة ويكون التوفيق والنجاح مآله، وإلا فإنه سيتعرض إلى غضب السماء مما يدمره ويدمر مملكته لكن كونفوشيوس فقد صيغ على تلك القوانين صيغة أخلاقية بحتة إلى حد ما حتى تحقق الانسجام الاجتماعي. (انظر: **خه جاو وآخرون، مرجع سابق، ص51-53**).

والخلاصة أن "LI" في الفلسفة الكونفوشيوسية هي لب الفضائل الأخلاقية، وعليها المدار" ما معنى الطقوس؟ بالطقوس يكون من الأفضل أن تلتزم بالاقتصاد وتبتعد عن التبذير، وفي الحداد يكون من الأفضل أن تلتزم بالحزن أكثر من الشكلانية." (خه **جاو ووآخرون**، مرجع سابق، ص53)

ولا يقتصر لي "LI" على الأخلاق فقط، بل يمتد إلى طريقة الحياة وقواعد السلوك وآداب اللياقة. وهذا ما جعلت الشعب الصيني من أكثر الشعوب المدققة في الرسميات في التاريخ. "فهي تتحكم في ارتداء الثياب، وفي المراعاة الدقيقة للآداب الاجتماعية والأخلاق الحسنة بصفة عامة بل في التصرفات والإيماءات والإشارات حيث يضاف المظهر الخارجي الملائم إلى السلوك الأخلاقي." (رسلان، مرجع سابق، ص123).

والرجل النبيل هو أول الناس تمسكا بـــــ "لي LI""الرجل النبيل متمكن من الثقافة لكن دائما يعود للتمسك بالطقوس ولذلك لا يخالف الصواب."(رسلان، مرجع سابق، ص96).

وفضيلة الخيرية لا معنى لها إذ لم تكن متحلية بالأخلاق، والمحروم منها لا تنفعه الأخلاق" ماذا يستطيع الإنسان أن يفعل بالطقوس وهو غير خير؟."(رسلان، مرجع سابق، ص96). فإذا استطاع الإنسان الجمع بينهما فإنه سيصبح "الإنسان الكامل" والقدوة الأولى لدى الشعب، ولهذا كان كونفوشيوس دائما يحث عليها، " الرجل النبيل يمتلك الأخلاق وكأنه الجوهر الأساسي له، وباقتناء الطقوس يحافظ على الأخلاق، ويمكنه أن يضعه موضع التنفيذ." ((رسلان، مرجع سابق، ص96).

٨- الموسيقى: ارتبطت الموسيقى بالأخلاق الكونفوشيوسية ارتباطا وثيقا، واعتبرها كونفوشيوس خير وسيلة لتهذيب

الأخلاق" إذا أتقن الإنسان الموسيقى، وقوم عقله وقلبه بمقتضاها وعلى هديها تطهر قلبه وصار قلبا طبيعيا، سليما رقيقا، عامرا بالإخلاص والوفاء، يغمره السرور والبهجة، وخير الوسائل لإصلاح الأخلاق والعادات، أن توجه العناية إلى الموسيقى التي تعرف في البلاد" (رسلان، مرجع سابق، ص157)."فالخير شديد الصلة بالموسيقى والاستقامة تلازم الأخلاق الطيبة على الدوام." (رسلان، مرجع سابق، ص157)

ويقول أيضا:" بالشعر يستثار العقل، ومن الموسيقى يتم استقبال الكمال والكياسة الاجتماعية، والقصائد الشعرية الغنائية تحفز العقل وتدعوه إلى تأمل النفس، إنها تعلم فن الإحساس المرهف ورقة الشعور، وتساعد على احتواء الاستياء (الامتعاض) وتحمله، إنها تبين أهمية واجب خدمة الأبوين والأمير"(سميث، مرجع سابق،276)

كما أن الموسيقى تهدأ النفس، وتشرح الصدر، فتجعلها بعيدة عن القلق والغضب المسببان للثورات "لموسيقى تبدد الثورة، والأخلاق الأسمى تبدد الخصام. (رسلان، مرجع سابق، ص157).

وانطلاقا من هذه الأهمية للموسيقى في تقويم الأخلاق، فقد أدخلها كونفوشيوس في المقررات الدراسية كمادة أساسية.

والموسيقى التي يقصدها كونفوشيوس هي الموسيقى الهادئة التي تؤدي الدور التربوي الأخلاقي" ما أبغضت شيء قط، قدر استبدال اللون البنفسجي باللون الأحمر المجيد، ولا كرهت شيئا مثل إفساد الموسيقى الكلاسيكية الملكية بسخط الموسيقى الفلكلورية الهادرة بغير ذوق، ولشد ما عافت نفسي التحايل بسحر البيان، وسر البلاغة لقلب منطق الحقائق." (ليو **جون تيان وآخرون**، مرجع سابق،160)

٩- التواضع: من الصفات الحميدة التي دعا إليها كونفوشيوس التواضع، وكان هذا خلقه الذي اشتهر به بين الناس. بالرغم من كمال البشري، يقول فيه تلميذه تسو كونغ:" إنه الشمس، القمر الذي يستحيل الصعود إليه، إن استحالة أن نجد مكافئا لمعلمنا تشابه استحالة الوصول إلى السماء بالصعود على سلم"(سميث، مرجع سابق،245)

ومما يدل على شدة تواضعه أنه قلل من انجازاته، بالرغم أنه أكثر الشخصيات تأثيرا في الثقافة الصينية، بالقول إنه ليس أكثر من " محب للقدماء"(سميث،2007م، ص239)

ويقول:" هناك أربعة أشياء في طريق الشخص العميق التفكير والحسن والانتباه. واحد منها فقط استطعت أن اعمله، أن اخدم أبي تماما كما أتوقع من ابني أن يخدمني، أن اخدم حاكمي تماما كما أتوقع من وزرائي أن يخدموني، أن اخدم أخي الكبير تماما كما أتوقع من إخوتي الصغار أن يخدمونني، أن أكون الأول في التعامل مع الأصدقاء كما أتوقع منهم أن يعاملونني، هذه لم أكن قادرا على فعلها"(سميث، مرجع سابق، ص243-244)

١٠- القدوة: يعتبر كونفوشيوس القدوة هي الطريقة المثلى في التربية والتأثير، يقول:" لو حاول فرد أن يرشد الناس عن طريق سن القوانين، ويحافظ على النظام عن طريق فرض العقوبات، فسيسعى الناس لتجنب العقوبات فحسب دون أن يكون عندهم إدراك للالتزام الأخلاقي، ولكن لو أن فردا قادهم عن طريق الفضيلة واعتمد على (لي) في الحفاظ على

النظام، لأحسن الناس إذن بالتزامهم الأخلاقي بان يقوموا ما بأنفسهم"(كريل،1971م، ص63)

وقد كان هو نموذجا للقيم الأخلاقية التي دعا إليها.

*** الخاتمة**

لقد كان كونفوشيوس واضع أسس الأخلاق الصينية، وأكثر المدافعين عنها، ولهذا، أثر في الأمة الصينية ما لم يؤثر عليها مصلح صيني آخر.

وأسس الأخلاق الكونفوشيوسية تقوم على ما يلي:-

١- إصلاح النفس أولى من البحث عن أصلها... خيرية كانت أم شريرية؟

٢- الإرادة هي مفتاح التغيير.

٣- التكامل الأخلاقي هو انسجام بين الجانب العاطفي والجانب الروحي.

٤- افعل أقصى ما تستطيعه.

٥- الإلزام الأخلاقي.

٦- القصد الحسن.

٧- التوسط.

وأهم الأخلاق التي ركز عليها كونفوشيوس نجد:-

١- الفضيلة.

٢- الصدق.

٣- الرحمة

٤- الخير.

٥- الاستقامة.

٦- طاعة الآباء.

٧- الطقوس.

٨- الموسيقى.

*** المراجع**

رسلان (دت)، صلاح، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، د.ط، 229، د.ب.: د.م.

أحمد (2000)،هالة، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس، دط،205، مصر، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

نيدهام(1995م)، جوزيف، موجز تاريخ العلم والحضارة. ترجمة: محمد غريب جودة. دط،494، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السواح وآخرون (2017)، موسوعة تاريخ الأديان الشرق الأقصى. ترجمة: سيف الدين القصير وآخرون. الطبعة الرابعة،447، سوريا، دمشق: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.

وآخرون(2004م)، تاريخ تطور الفكر الصيني. ترجمة: عبد العزيز حمدي عبد العزيز. الطبعة الأولى،768، مصر، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

ديورانت(دت)، قصة الحضارة. الشرق الأقصى الصين. ترجمة: محمد بدران، دط،354، لبنان، بيروت: دار الجيل. تونس: جامعة الدول العربية.

تيان وآخرون(2000م)، محاورات كونفوشيوس. ترجمة: محسن سيد فرجاني، دط،2012، مصر: المجلس الأعلى للثقافة.

سميث (2007م)، هوستن، أديان العالم، ترجمة: سعد رستم، الطبعة الثالثة،592، سوريا، حلب: دار الجسور الثقافية.

كريل (1971)، ه، الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي، ترجمة: عبد الحميد سليم، الطبعة الأولى،384، مصر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.